زاد الأمل..
نواجه به المستقبل

يقول الله (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ... ﴾ [الطلاق: ١].

متى تبدأ المشكلات التي تلقى بظلالها على البيت الآمن؟

إنها تبدأ ـ كما يقول البصراء ـ عندما يغيب إحساس أحدهما بالآخر..

عندئذ.. يبدأ التنافر .. ثم المراء.. ثم العداء..

ولقد يحاول أحدهما أن يتحامل على نفسه.. فيتودد إلى صاحبه بالكلمة الحانية.. والتصرف الحميد.

ولكنه عطاء فارغ لا وزن له.. يودعه الإنسان في «مصفاة» يتسرب منها هذا العطاء، رويدًا رويدًا..

يتسرب كالماء من فروج الأصابع..

أجل.. تتسرب العواطف رويدًا رويدًا.. لتصبح النفس بعد حين من الدهر صحراء جرداء قاحلة!

●●●

ويترتب على ذلك: النفرة النفسية بين الطرفين..

تلك النفرة التي عبَّرت عنها الآية الكريمة:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وذلك عكس المؤمنين الذين هم:

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الصافات: ٤٤].

●●●

ونفترض أن «الفأس» وقعت في «الرأس».. وتم الطلاق فعلا..

فماذا على المطلق بعد أن وقع المحذور؟!

تقول الآية الكريمة:

﴿ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ..... ﴾ [الطلاق: ١].

يجب أن تظل المعتدة في بيت الزوجية.. وليس من حق الزوج أن يُخرجها.. ولا من حقه أن يأذن لها بالخروج لو رغبت فيه..

أولاً: لأن ذلك حق الله (تعالى).. ولا يجوز الافتيات عليه..

وثانيًا: لمصلحة الزوج نفسه..

فالمعتدة الباقية في البيت.. ربما فكر الزوج في مراجعتها.. وعندئذ سيتم المراجعة في هدوء.. بلا وسطاء ولا شفعاء. ولا إجراءات ترهق الزوج.. أو تحرجه..

فلو أنها عادت إلى بيت أبيها في العدة.. لسوف يحدث لَغَط كثير يتسع به الخرق على الراقع..

وربما تأخذها العزة بالإثم.. فتمتنع وهي الراغبة.. أمام أهلها.. وأهل حيِّها.. لتثبت أنها لا تريد العودة متنكرة لنداء الفطرة في كيانها.

أما لو بقيت في البيت.. فهي مستعدة أن تبدأ بالكلام أو بالملام.. من أجل أولادها على الأقل.. وما دامت في مأمنٍ من أعين الرقباء وآذانهم..

فكل تنازل يهون!

وأما من ناحية الزوجة:

فإنها.. وبعد هدوء العاصفة قد تتراءى له أجمل ما تكون.. فيكون العود أحمد.. بعد أن هدأ تراب المعركة.. فرأى الزوج في صفائه.. ما لم يره في جفائه!

●●●

ثم إن المطلقة لو خرجت من البيت.. فما أكثر الطامعين فيها.. بعدما ذهب العائل.. حامي الذمار..

لقد كان لحمها من قبل وفي كنف الزوج مُرًا. وهي في حماية الأسد.. أما اليوم.. فقد عرَّضت هذا اللحم للهر الجائع.. الذي لا يريد الزواج.. وإنما يريد فقط أن يتذوق؟!

ولن يتحمس أقرباؤها لحمايتها.. فكلهم مشغول بليلاه!!

وحتى لا يساء بها الظن.. يجب أن تعتد في بيتها..

●●●

ثم إن البقاء في بيت الزوجية يعفيها من التبذل وهي تجوس خلال الدروب تبحث عن سكن يؤويها.. وكيف يُؤويها.. بينما هي وحيدة شريدة. بلا خطٍّ دفاع يصونها؟!

●●●

ثم إن البيت بيتها كما يقول (عز وجل): ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ وإذن فهو مستقرها.. فلتستمسك بهذا الحق المكفول لها..

بلا منَّة من الزوج.. وإنما هو منحة من الخالق (سبحانه).. فليس لها أن تفرط فيه..

●●●

لكن هذه السكنى مشـروطة بأن تحسن عشرتهـا لكل من في البيت.. فمـا دام الشرع كان حَفـيًّا بها.. حامـيًا لها.. فيـجب أن تكون أهلاً لهذه الحمـاية بالتزام العـفة والأدب.. أما لو بذوت على من فـي البيت بذاء.. فإنها تسقط حقها في البقاء في بيت لم تحترم قواعد الزدب فيه..

يقول صاحب الظلال:

(إن الحكمـة في إبقـاء المطلقـة في بيت الزوج هي: إتاحـة الفـرصـة للرجعة. واستـثارة عواطف المودة. وذكريات الحياة المشـتركة.. حيث تكون الزوجة بعيدة... بحكم الطلاق.. قريبة من العين.

فيفعل هذا في المشاعر فعله بين الاثنين.

●●●

فأما حين ترتكس في حمأة الفاحشة ،وهي في بيته أو تؤذي أهله. أو تنشزُ عليه.. فلا محل لاستحياء المشاعر الطيبة.. واستجاشة المودة الدفينة.

ولا حاجة إلى استـبقائها في فترة العدة: فإن قـربها منه حينذاك يقطع الوشائج.. ولا يستحييها) أ.هـ.

●●●

فالمفروض في المعتدة أنها تعيش أسوأ لحظات عمرها والمفروض لهذا.. أن تبدو في أجمل أحوالها..

أما أن تُصرَّ على العصيان.. فذلك مما يدعم وجهة نظر المطلّق..

والكارهين لها في البيت.. يؤكد لهم أن قرار الطلاق كان صائبًا!

وأنها تستأهل ما حدث لها.

لقد كانت الزوجة بالأمس القريب مِلك يديه.. أما اليوم.. فقد صار

بينه وبينها حاجز . .

وربما حرَّك ذلك مكامن الشوق إليها . .

وعليها أن تمهد طريق عودته بحسن الأدب . .

وإلا فلا مناص . . من الخلاص . .

●●●

أما بعد:

فمن خلال تأملي أقوال المفسرين حول المراد بالفاحشة . أحسست بالميل الشديد إلى رفض أن يكون المراد بالفاحشــة : الزنا . . وإنما هي البذاء والجفاء . . شريطة أن يكون واضحًا تبجحًا!

وقلت : وهكذا يحسنون الظن بالمرأة الحرة . . وعليها أن تثبت بالأدب ـ أنها أهل لذلك!

عندما يفرض الزوج طريقه.. وطريقته

يقول الله (عز وجل): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١].

إنه لشيء محزن حقًا أن يذهب الراعي في الأرض حيران.. فإذا القطيع وقد تفرق: كل شاة في طريق..

ينقطع الخيط الحريري.. فإذا حبات العقد النضيد تتناثر هنا وهناك.

والشمل الجميع يصبح أجزاء وتفاريق.. حين يتحول الخلاف ضعفًا.. والضعف محنة.. يجيء من بعدها الفراق.. الذي يدق الباب بلا إذن من الصحاب! ثم يتساءل عضو مجلس الصلح:

ما الذي حدث ؟! والجواب:

إن هناك بين الأطراف المعنية دائمًا: ما هو منشود.. وما هو موجود..

هناك الأمل.. وهناك الواقع الصارم..

وبين هذا الأمل.. وهذا الواقع ما يمكن إنقاذه..

وبين إدراك الواقع.. وإرادة التغيير دائمًا مساحة تضيق وتتسع لمبادرة الصلح..

لكننا قد نكون أسرى انفعالاتنا.. فنحاول أن نفرض إرادتنا: نفرض الطريق.. والطريقة أيضًا!

وكان على الرجولة القادرة على إنهاء العلاقة الزوجية أن تجعل العفو عن الرفيق شكرًا للقدرة عليه..

بيد أنه لم تفعل.. فكان لا بد من هذه اللحظة القاسية.. وليس أقسى من مشهد الأعزاء.. وهم يتأهبون للرحيل..

فماذا نحن فاعلون؟

●●●

تقول الآية الكريمة:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ...﴾ [الطلاق: ١].

وفي هذا ترهيب أي ترهيب.. يكف الله به بأس الراغبين في الفراق بالطلاق:

ولاحظ أن الأحكام التي مضت في هذه السورة مشار إليها باسم الإشارة للبعيد: ﴿وَتِلْكَ..﴾ ومعنى هذا:

أنها هناك في مكانها العالي.. ومكانتها السامية..

هناك.. بعيدًا.. بعيدًا.. لا تطولها يداك.. وليست لعبة في يديك..

ثم إنها ﴿حُدُود﴾: موانع أسلاك شائكة لا تمزق ثيابك وإنما تحرمك ثوابك!.. فلا تضر نفسك بمحاولة تجاوزها.. وإلا فأنت ظالم لنفسك:

لأنك تتعدى.. لأنك متعد.. متعد حدود مَنْ؟ حدود الله القادر على إهلاكك.. فهي حدود المنتقم الجبار وليست حدودًا من صنع البشر..

إنك بالظلم.. تعبر حقل ألغام.. وتوشك بالاستبداد أن تُغتال من تحتك!! فالحذر الحذر..

والذين يسيئون استغلال السلطة الممنوحة لهم من الشرع لا يظلمون الشرع.. وإنما يظلمون أنفسهم يظلمونها مرتين:

مرة في الدنيا.. بالهموم..

ومرة في الآخرة.. بالعذاب الأليم.

وكل محاولة لإهدار كرامة رفيقة الأمس مقضي عليها بالفشل..

بل إن آصارها عائدة على الظالم نفسه. الذي يصير أمره على ما يقول الشاعر:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

●●●

كل ما حدث أنه أورد نفسه موارد الهلاك.. وأوقعها مواقع الضرر عقابًا وِفاقًا على مجاوزته حده.. وتعديه رسمَه.

●●●

وليسأل العازم على الطلاق نفسه: لماذا لا أؤجل القرار الصعب.. وأنا قادر عليه غدًا؟!..

﴿ لا تَدْري لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾.

وقد أحدث الله (تعالى) أمورًا في حياة من ترى من جيرانك وخلانك.. إن كل شيء يتغير في حياتنا.. إلا قانون التغير نفسه..

وإذا كانوا يقولون:

إذا أردت الحَبَّ فازرع الحقل.. وإذا أردت الحُب فازرع العدل..

فإنا نقول: فازرع الفضل.. حتى تستمر فاضلاً!

ومن الفضل أن تُرجيء خرق السفينة حماية لحياتك أولاً..

ادفع بها إلى الساحل.. فعسى أن يُبعث الحب القديم!

﴿ لعلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أَمْرًا ﴾.

يقول صاحب الظلال:

(إنها لمسة موحية مؤثرة:

فـمن ذا الذي يعلم غـيب الله. وقَدَره المخـبـوء. وراء أمره (تعـالى) بالعدةَّ؟ وأمرِه ببقاء المطلقات في بيوتهن؟

إنه يَلُوح هناك أمل. ويوصوص هناك رجاء. وقد يكون الخير كله..

وقـد تتغـير الأحـوال وتتبـدل .. إلى هناءة ورضى. فقـدرُ الله دائم الحركة.. دائم التغيير.. ودائم الأحداث.. والتسليمُ لأمر الله (تعالى) أولى والرعاية له أوفق. وتقواه فيها الخير .. يلُوح هناك).

وخالقك وخالقها (عز وجل) يقول لك:

﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النسـاء: ١٩].

●●●

وهكذا يداول السياق بين الترغيب والتـرهيب.. فلعل الغيب أن يُسفر عن أمر لم يخطر لنا على بال. وهو كما يقول صاحب التحرير:

(تقليب القلوب: من بُغْض إلى محبة، ومن غضب إلى رضى.

ومن إيثار تحمل المخالفة في الأخـلاق ـ مع المعاشرة ـ على تحمل آلام الفراق. وخاصة إذا كان بين المتفارقين أبناء.. أو من ظهورِ حمل بالمطلقة.. بعد أن لم يكن لها أولاد..).

●●●

لقد وسَّع الله زمن العدة شهوراً..

وإذن .. فهي كـافية للتشـاور والمراجعة.. يخرج من خـلالها الرأي ناضجًا.. مدروسًا..

فلماذا نجعل من شكر التوسعة . . أن نكون متسرعين؟!

●●●

وإذْ يتـجه الخـطاب هنا إلى الأزواج بالذات . . فـإنه متـجـه في نفس الوقت إلى كل من يستطيع أن يقـول كلمة يجتمع بها الـشمل . . وتلتئم في ظلها الجراح . .

وما أكثر الذين يجلسـون اليوم على مقاعد المتفـرجين . . بينما الأحبَّاء يغالبون الموج . . بلا يدٍ تمتد إليهم . .

ألا وإن سكوتهـم عندئذ . . لدليـل على أن مـا يحـدث هـو بعض مآربهم . . وسـوف يشربون غـداً من نفس الكأس . . ثم يستـغيثـون . . فلا يغاثون!

سبب الشجار..
مختبيء خلف الستار

يقــول الله (عــز وجل): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

يقولون:

إذا غلبك عقلك.. فإنه لك.. وإذا غلبك هواك.. فهو لعدوك!

وعدوّك هو: الشيطان..

الشيطان.. الذي يوسوس للزوجين.. وبخاصة لحظة الغضب..

فإذا حجر على حجر.. ثم يتطاير الشرر..

أو كما يقول الفلاحون الطيبون:

طوبة على طوبة.. فـإذا المعركـة منصوبة!.. وكلـما التـأم جرح.. جدّت بالوسوسة جراح!

●●●

إنه الشيطان المريد إذن يريد بالوسوسة هدم العش على من فيه..

بما ينفخ في القلوب من الوساوس التي تَرين عليهـا.. فإذا هي جمرة من النار..

وقد نستـحضر من الحِكم ما يخفف من هذا السعـار.. لكننا مصرون على التزام التعسف سبيلاً إلى التنكيل برفاق الأمس الدابر..

وما أحـوجنا إلى استحضـار مثل هذه المرطِّبات.. من مـثل قول عليّ (رضي الله عنه):

(والذي وسع سمعه الأصوات: ما من أحد أدخل على قلب فقير سرورًا.. إلا خلق الله له من هذا السرور لطفًا.. فإذا نزلت به نائبة. جرى إليها لطف الله في انحداره.. حتى يدرأها عنه).

وأحق الناس بهذا السرور أحباء الأمس القريب.. واللائي نرى في عيون أبنائنا صورتهن!..

ولكننا نستسلم لكيد الشيطان لأنه يُرضي غرورنا..

ولسوف يتحول الموقف من سيء إلى أسوأ..

أرأيت إلى النقطة المتمركزة وسط الصفحة البيضاء؟:

حاول أن تدخل عليها بمجموعة من الخيوط.. فماذا ترى؟

ترى أنها كلما ابتعدت عن المركز تضاءلت المسافات بينها حتى صارت في المركز عقدة تجتمع.. بل تذوب فيها كل الخيوط..

وهكذا يريد لنا الشيطان أن يتخذ كل واحد منا إلهه هواه.. ليذهب كلّ في سبيل.. وعندئذ فقد تعذر اللقاء.. بعدما صار الأمر على ما قال أبو العتاهية:

أرى صاحب الدنيا.. مقيمًا بجهله

على ثقة من صاحب لا يوافقه

●●●

ألا إن إدراكنا لخطة الشيطان في نقض بيت الزوجية يعيننا على أن نجمع الشمل المبعثر.. وأن ندّخر الطاقة والحيلة.. لنوجهها معًا إلى هذا العدو المشترك: الشيطان.. والذي كان أقرب جنوده إليه من فرّق الشمل الجميع!

إن الشيطان كما يقول علماؤنا[1]:

[يريد أن يظفر بولاية الإنسان ـ وبخاصة الزوجين ـ أو أن يظفر به في عقبة من عقبات الطريق: بعضها أصعب من بعض:

ينزل منه الشيطان. من العقبة الشاقة.. إلى ما دونها إذا عجز أن يظفر بالإنسان فيها:

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله.. وبرسالاته..

فإن ظفر هنا.. استراح.. فإن نجا الإنسان منها طلبه على:

العقبة الثانية وهي:

عقبة البدعة: إما باعتقاد خلاف الحق. وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله. فإذا أفلت الإنسان من كيده طلبه على:

العقبة الثالثة وهي:

عقبة الكبائر:

فإن ظفز به فبها.. زينها له وحسنها في عينه وسوّف به. وفتح له باب الرجاء..

فإن أفلت العبد من قبضته.. طلبه على العقبة الرابعة وهي:

الصغائر:

الصغائر.. التي يهوّن عليه أمرها.. فإن رفضه العبد.. طلبه على:

العقبة الخامسة وهي:

عقبة المباحات التي يغريه بالإكثار منها ليكون أداؤها على حساب الطاعات المهمة..

---

(١) انظر مدارج السالكين ج (١/ ٢٢٢).

فإن أفلت منه العبد بتوفيق الله (عز وجل) . . طلبه في العقبة السادسة وهي:

عقبة الأعمال المرجوحة . . المفضولة . . والتي يزينها الشيطان للعبد . . لينصرف بها عن الطاعات الراجحة الفاضلة . . حتى يخف ميزان حسناته . .

●●●

وعلى الأزواج بالذات أن يعلموا:

أن المعركة بيننا وبين الشيطان شرسة طويلة الزمد:

وذلك قوله (تعالى):

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٧٩ ـ ٨٣].

ذلك بأن الشيطان الرجيم يقعد لنا على الطريق مُقسمًا على أمرين:

إغوائنا . .

وإغوائنا أجمعين. إلا من عصم الله . .

يقعد لنا في معركة . . على كل الجبهات.

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ . . . ﴾ [الأعراف: ١٧].

ويرخي القدر الأعلى للشيطان من حبائل الأماني . . ثم يعلن:

أن كيده إلى زوال.

﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٤].

عندما يتزوج الفيلسوف فيلسوفة!

يقول الله (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿ يا أيُّها النَّبيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساء فطلِّقُوهُنَّ لعدَّتهنَّ وأَحْصُوا الْعدَّةَ واتَّقُوا اللَّهَ ربَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ منْ بُيُوتهنَّ ولا يخْرُجْنَ إلاَّ أن يأْتينَ بفاحشَة مُبَيِّنَة وتلْكَ حُدُودُ اللَّه ومَن يتعدَّ حُدُود اللَّه فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تدْري لعلَّ اللَّه يُحْدثُ بعْدَ ذلكَ أَمْراً * فإذا بلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فأَمْسكُوهُنَّ بمعْرُوف أَوْ فارقُوهُنَّ بمعْرُوف وأَشْهدُوا ذَوَيْ عدْل منْكُمْ وأَقيمُوا الشَّهادَةَ للَّه ذلكُمْ يُوعظُ به منْ كانَ يُؤْمنُ باللَّه والْيَوْم الآخر ومَن يتَّق اللَّهَ يجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * ويرْزُقْهُ منْ حَيْثُ لا يحْتَسبُ ومَن يتوكَّلْ علَى اللَّه فهُوَ حَسْبُهُ إنَّ اللَّهَ بالغُ أَمْره قدْ جعلَ اللَّهُ لكُلِّ شَيْء قدْراً ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

●●●

إذا أردنا حل مشكلات الأسرة.. فلن يكون ذلك في قاعات الحوار والفلسفة! وإنما هي التجربة في صحبة إيمان عميق بالله (تعالى).. والذي نتحمل به مسئولية الإحسان إلى عياله.. وبخاصة تلك الزوجة التي تتأهب اليوم للرحيل!

●●●

كنت في مجلس الصلح بين زوجين طال على خلافهما الأمد: قلت للزوج المغرور: إمسك عليك زوجك واتق الله. وبدأ الزوج المعتد برجولته.. بدأ يفلسف القضية التي أراد أن «يكحلها» فأصابها بالعمى!

قال.. كأنما ينقل من كتاب مفتوح:

(إذا كانت للأشياء قيمة.. فقيمتها بقدر حاجتنا إليها. وليس بقيمتها المجردة.

فالرشفة الأولى من كوب الماء.. ترتفع قيـمتها إلى الحد الأقصى عند من هدّه الظمأ والجفاف.

والرشفة الثانية.. ومن نفس الكوب.. تنخفض منفعتها بقدر ما روت الأولى من ظمئه.

وتنخفض قيمة الثالثة عن الثانية.. بنفس القدر.. إلى أن يرتوي المرء تماماً.. وعندئذ يفقد الماء كل منفعته.. بالنسبة إليه.

ثم تستوي قيـمة ما لديه مع بقية الأشياء. ولقـد تصبح الرشفة الزائدة بعد ذلك عبئا عليه. بعد أن كانت منذ قليل.. أملاً له!

مع أن الماء هو الماء في كل الرشفات).

●●●

وقلت للفيـلسوف الذاهل عمـا حوله.. ومن حولـه من أطفاله زغب الحواصل. قلت له:

أمسك عليك زوجك واتق الله!

اتق.. وتخل عن هذه الـنظرة المادية للإنسـان.. وبخـاصـة هذه التي أسعدتك بذرية هم في أشد الحاجة إليك:

هؤلاء الضعاف:

الذين إن خرجوا معها.. جاعوا..

وإن أبقت عليهم معك.. ضاعوا..

●●●

واسـأل نفـسك.. هل هذا هو الـزواج.. وتلك مـقـاصـده.. التي تلخصها في ضمّة.. ثم شمّة.. ثم ينحل من بعدها الميثاق الغليظ؟!

إن الأمر في الإسلام غير هذا.. حين يتراجع الحب القلبي العاطفي..

ليـفسح الطريق أمـام الحب العـقلي. . والذي نخص به من جـاءتنا بالولد. الذي هو المقصـود الأصلي من الزواج. . والذي يجعل من الرشفة المـتأخرة معه أحلى من الرشفة الأولى. . وأغلى؟!!

وذلك. . لمن كان له قلب إنسان. . لا عقل فيلسوف!!

●●●

وإذا كنت تتحدث عن السنة التي أباحت لك الطلاق. . حين لا يكون وفاق. . فإنهـا السنة السيئة التي تحـدرت إليك من الذواقين الذين لم يجدوا للعلاقة الزوجية طعماً. . بعد أن فقدوا حاسة التذوق.

وبينما الزواج عندنا: سكن. . ومـودة. . ورحمة. . فإن الزواج كـما يقول فلاسفتهم

(إن الزواج في حـــالتـه الراهنـة: هو أسـوأ أنواع الكـذب. والشكل الأسمى: للأنانية)

●●●

و (كل شيء يبعث على السأم لدى الأزواج)

و (أساس الزواج الصحيح: سوء فهم متبادل)؟!

و (يقترن الرجل بالمرأة ليهرب من الوحـدة. . وبعد ذلك مباشرةً ينضم إلى أحد الأندية ليهرب من المرأة).

وهكذا قالوا.. وما يزالون يقولون..

يحكون تجاربهم الخاصة. . المشتقة من بيئة غير بيئتنا. .

وفي ظل عقيدة غير عقيدتنا. .

إن الحب هناك. . هو الأسـاس. . والحب رغوة عـائمة سـوف تنطفئ يومًا. .

أما في الإسلام.. فإن الأسـاس مكين وهو: المودة والرحمة.. والتي تظل تربط على قلبي الزوجين حتى في أسوأ الظروف..

وحتى إذا غاب الحب.. فإن المروءة.. فـإن الأربحية.. فإن الوفاء.. قائم مقامـه.. يمد السفين المتأرجحة بالوقود.. حتى يأخـذ طريقه في البحر سربا!

●●●

وعدت على بدء أقول للزوج الفيلسوف:

أمسك عليك زوجك. واتق الله..

لقد «ظفرت» بها من قبل جوهره.. سـبقْتَ الراغبين فيها.. وظفرت أنت بها.. واليوم أمسك بها.. إنها توشك أن تخرج من العش.. بلا تحية وبلا إيل.. فأمـسك بها قبل أن تحاول إعـادتها من بعد.. فـلا تستطيع.. لأنها صارت عندئذ في حمى غيرك؟!

●●●

وتفَصَّد جبين الفتى عرقًا.. وكأنما قرر أن يمسك بها!

وعدت سعـيدًا إليها.. لتكون على مـستوى الموقف.. على الأقل.. من أجل الصغار. ومن قبل أن يصير أمرهما فرطا..

●●●

وصـحيح أن مـعـادن بعض الناس.. كالماس: تـشع في الليل المظلم ضياء..

ولكن هذا الضياء أحـيانًا يغشي العيون.. فلا ترى من المسـتقبل أبعد من أنفها!

وليت شعري: أحيانًا تتيح لنا الأيام ما لا نريد.. ثم تمنعنا مما نريد!!

ولقد منعتنا الأيام هنا ما نريده من هذه الزوجة الفيلسوفة

والتي بدأت تشقق.. وتدقق.. فتردم بالتشقيق والتدقيق طريق عودتها إلى البيت الذي يفتح أبوابه لاستقبالها!.. ثم تتراجع آمال المصلحين.. في الوئام والسلام.. وهكذا .. يفرض الشيطان خطته.. بعدما أفضى بعضهم إلى بعض وأخذن منهم ميثاقًا غليظا.

●●●

ولاحَظَ زميلي في المجلس غضبي لما حدث.. ثم تحامُلي على من أغلقت الباب وكنا من أعتابه غير بعيد.. وقال صاحبي:

أرأيت إلى «الزوجة» عندما ترتدي مسوح الفلاسفة؟!

ثم قال: زمان.. كانت المرأة الريفية تخرج متمنطقة «بالملَس»: عباءة فضفاضة لا تشف.. ولا ترسم.. وهي داخلها لا تنتمي لمذهب.. وإنما هي الحرة التي.. لا ترى رجلا.. ولا يراها رجل.. وكانت بساطتها سرَّ جمالها.. ثم صارت اليوم فيلسوفة «مسترجلة»!!

وقلت له: هون عليك وجفف دمعك الغالي: فما أكثر.. المؤمنات.. القانتات.. التائبات.. العابدات.. السائحات..

أما هذه الفيلسوفة فإنها «واقعة حال»: تُحفظ.. ولا يقاس عليها!!

قبل أن تغرق السفينة

يقول الله (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿فَإِذَا بلغْنَ أَجلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ.... ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وصلت العلاقة بين الزوجين.. لا.. بل بين الأسرتين.. وصلت إلى طريق مسدود.. وبدأت تترنح على حافة الهاوية. هذه العلاقة التي كانت من قبل «هوى» تصبح اليوم هاوية.. وما أدراك ما هية: نار حامية..

حامية من شدة الاحتكاك بين أحبّاء الأمس.. الذين نزغهم من الشيطان نزغ.. فقرروا من حيث لا يشعرون أن يسروا العدو ويسيئوا إلى الصديق؟!

وتعجّب من أناس يخرقون السفينة بأيديهم.. بينما هي من الشاطئ بالمكان القريب..

أجل.. تعجب من الإنسان الذي بيده أن يكون كاملاً.. لكنه في لحظة طائشة يهدم كماله.. وبنفسه؟! حين يجعل من لسانه شراعًا يتجه به إلى حيث يبتلعه اليم بأمواجه الغاضبة.

●●●

هؤلاء الغافلون.. الذين أتاح لهم ربهم «العدة» وعاء زمنيًا كافيًا لمراجعة النفس.. والموازنة بين الربح والخسارة..

ولكنهم.. وها هي ذي الفرصة توشك أن تفلت من بين أيديهم وليس فيهم رجل رشيد.. يمسك بالزمام.. قبل أن تذهب الفرصة المواتية.. ثم لا تعود..

ها هو ذا الكتاب يوشك أن يبلغ أجله.. ها هـي ذي «العدة» تشارف نهايتها وقد بلغن أجلهن).. فأين العقل..

وأين التـشاور.. على الأقل من جـانب الأقرباء.. إذا كـان الزوجان يعيشان الآن لحظات لا تسمح بالتفكير السديد؟

إن كل فرص التفاهم تتسـرب من بين أيدينا.. ليذهب الأحباء.. كل في طريق، مخلفـين من ورائهم ذرية ضعافًـا.. خافوا عليـهم.. ادِّعاء.. وإلا.. فلماذا يديرون معـركتهما فوق ذريتهـما الذين يخلفونهم من ورائهم جياعًا.. تائهين حيارى؟!!

●●●

وأحـيـانًا ترى الزوج ـ وهو صـاحب القـضيـة ـ تراه: مـذهوشًـا.. مـبهـوتًا.. حائرًا.. خـائر العـزيمة.. وسهـام أبيه.. وأبيـها.. وأمـه.. وأمها.. تمر من فـوق رأسه في معركـة يصفون بها حسـابات قديمة.. على حساب حياته هو!

إنه قد يريد زوجه.. وزوجته بنفس القوة تريده.

ولكن اختـلاط الأوراق غبش الجو من حوله.. فلم يسـتطع أن يسأل نفسه: ألا يُسعِد ما يحدث أعداءَنا.. فلماذا نسعدهم..

ونغم أنفسنا..؟!

وقد تأخذه العزة بالإثم ـ حياء من أمه وأبيه ـ فيقول:

عليَّ.. وعلى أعدائي..

ولكني أقول له: بل هي عليك أنت وحدك.. أما أعداؤك فهي لهم.. لأنك تحقق بالطلاق أعز أمانيهم:

ومـــا يـبلغ الأعـــداء من جـــاهل ... مـــا يبـلغ الجـاهل من نـفـســه!

وقد ينتصر الآباء والأمهات.. لكنه النصر المخصوم من حساب العائلة كلها..

ثم تكون النهاية: وحيل بينهم وبين ما يشتهون.

●●●

وفي مـعركـة من هذا الطراز.. قـررت أن أخـوض التجـربة إغـاظة للشيطان الذي أشعل هذه الفتنة التي كانت بالأمس نائمة..

وقلت: بدل أن تلعن الظلام.. أضئ شمعة.. إيمانًا مني بأن «الود» لا يموت أبدًا.. مهمـا نازعته الأعاصيـر، والأحقاد.. ومهمـا صوِّب إليه من سهام الكارهين.. والمنتفعين.. والنمامين.. الصائدين في الماء العكر.

●●●

وقلت للزوج:

(أمسك عليك زوجك.. واتق الله).

اتق الله.. وامسكها.. بمعروف..

وليكن للقضية تكييف آخر:

فإذا كنت بالـطلاق.. تسعد أعـداءك الذين يرون غزلك من بعـد قوة أنكاثًا.. فإنك تسعد أعداء الإسلام الذين يتهمون الإسلام بأنه دين هدام.. يهدم البيت على ما فيه.. وبكلمة واحدة..

بل إن الرجعة قـد تكون بمجرد «الإمساك» عليهـا ولا داعي للمقال.. ويكفي لسان الحال!

ألا يسـرك يا رجل أن تكون سـلاحًـا من أسلحـة القـدر يسكت الله

(تعالى) به نيران العدو..

ثم ها هي ذي توجيهات الإسلام: من بين يديك.. ومن خلفك تأمرك.. وتأمرها بالصبر الجميل.. الذي تستعلى به على انفعال الكراهية.. فلا يجمل بالمؤمن أن يفرك مؤمنة؟!

●●●

ثم تركت الزوج حائرًا.. حيرة قد ينحل بها عزمه على الطلاق.. وكان لا بد حتى تتم الرجعة ـ كان لا بد بلغة الجيش من عملية:

إنزال خلف قوات الخصوم:

فقد استدعيت والدة الزوج.. وقلت لها بمحضر من الشهود:

مشهود لك «بالانتصار» في معارك الكلام..

ولكنني أريد أن تهزمي نفسك.. وباختيارك هذه المرة..

فاذهبي إلى أم الزوجة.. وفاتحيها في الصلح.. ثم تحملي الغارة الشعواء.. صابرة محتسبة..

وتمت «المؤامرة» الشرعية بنجاح.. عندما أفرغت «الحماة» كل ما في جعبتها من سهام..

فلما انعقد مجلس الصلح كان الحق في جانب أم الزوج.. بما شتمت أمُّ الزوجة واعتدت عليها.

وكفى الله المؤمنين القتال..

●●●

ولا أدعي لنفسي الفضل هنا.. وإنما أنا فقط دال على الخير..

إن المعركة بين الأطراف المعنية قد تسوقهم جميعًا إلى ساحات القضاء..

ولكن تبـقى بذرة الود. . تحت الرمـاد. . نارًا تنتظر من يكشف عنهـا لتشع من جديد دفئًا ووئامًا. .

إن البذرة غابت زمنًا. . ولكنها لم تمت. .

ونحن مطالبـون أن نزيل عنها التـراب. . حتى تسـتوي عـلى سوقـها شجرة تعجب الزراع. . نغيظ بها الشامتين. .

وآخر الدواء: الكي

يقول الله (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ.... ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

أيها الزوج المفارق:

ها هي ذي ساعات الحياة تمضي.. تدق.. فاضبط قلبك عليها.. حتى لا تفوتك اللحظة المناسبة.. فيصبح الممكن اليوم مستحيلاً غدًا..

أمامك فرصة للتفكير والمراجعة.. والآية تقول لك.. بل للمجتمع كله:

إذا بلغن آخر العدة.. مشارفات لها.. فأنتم بالخيار:

إن شئتم .. أمسكتم..

وإن شئتم .. فارقتم..

على أن يتم الأمر في الحالين «بمعروف»

لم تقل الآية الكريمة «بالمعروف» معرفًا بالألف واللام.. لم تقل ذلك حتى لا تكلفك شططا..

وإنما تقول لك: بأي معروف.. بكل ما يطلق عليه اسم «معروف» كالاعتذار بالكلمة الطيبة.. المجاملة.. أو العِدة الجميلة.. بعد العدَّة الثقيلة!

أمسكها.. بمعروف.. لا تتردد.. فالظروف مواتية:

إن الزهرة في الربيع.. لها رائحة.. ومشهد..

ولكنها في الخريف شيء آخر.. أو كما قال الأدباء:

وهكذا كل عـمل تَرَدَّد فـيه الإنسـان.. ثم حـاول إنجـازه بعد فـوات الأوان..

والأوان لم يفت بعد:

وبالجهد الموصول يمكن إزكاء النار من الصخر!

●●●

لكن الأمر بالإمـساك متجـه إلى المجتمع كله.. فليسـهم كل من كان قادرًا على أن يكون شيئًا..

وإذا كان الـزوج هو الممسك والمفـارق.. فإن الجـميع مـسؤلون مـعه مسئولية مباشرة..

ولاحظ قيمة المرأة في منطق الإسلام.. حين نتصور امرأة وحيدة..

في خيمة عبر الصحراء.. ومع ذلك فالأمة كلها مسئولة عن حاضرها ومستقبلها..

وإذا كان من يقتل نفسًا واحدة.. فكأنما قتل الناس جميعًا.. فإننا وبنفس القوة نقول:

ومن طلقهـا فكأنما طلق النساء جمـيعًا .. بما أحدث في المجـتمع من خلخلة مال بها الصف.. واختل بها الميزان..

إننا لكي نربـط على قلب الأسـرة الآيلة للسـقـوط.. لا بد من إرادة قوية.. يتسلح بها زوج عظيم.. يدفع بالأسرة إلى الأمام.. ناهضًا بها من كبوتها.. لتبقى ثابتة راسخة.. قبل أن تجرف الريح بمنجزاتها ومكاسبها..

وعندئذ يكون قد ضخ في شرايينها دماء جديدة..

●●●

وفي مثل هذه اللحظات الحـرجة . . يكون من الحكمة أن نغـوص عبر جذور المشكلة لنكشف أسبـاب المحنة الدامية . . بدل أن نتجمـد أمام الرغوة العائمة . . لأنها دهان على وبر . .

ومـا زلت أذكـر ذلـك الزوج الحكيم . . والذي لم يضـع من قـدمـه الطريق . .

فقبض على المجداف بقوة . . ثم أنشد في وجه العواصف الهوج :

يا فـــرحـــتي الأولـى .. في رحلة الـوقت

يا كل تـاريخي .. مـــجـــدي الذي صـنعت

يـا أم أبنـائي .. يـا ريحـــــانة الـبـــــيت

لم أنـس عـــمـــري .. مـــا قـــد تحـمَّـلت

●●●

إنه لا يكفي أن نكون أحياء . . بل لا بد فوق ذلك أن نكون أحبّاء . .

وإذ نختلف على أشياء . . فقد بقيت في الحياة أشياء جميلة . .

يمكن أن نجْتـمع عليهـا . . بعيدًا عـن الهُياج الذي يسـد منافذ المعـرفة فينا . .

فإذا الأمور وقد ازدادت تعقيدًا . .

●●●

ولنفتـرض أن الرياح قد رمـتنا بما لا يشتـهي السفن . . فليكـن الفراق بمعروف أيضًا :

ففي الإمساك . . لا بأس أن نعتذر عما سلف . .

وفي الفراق: عدم التحايل عليها.. ولعله تحذير من مثل ما كان يُفعل في الجاهلية!

حين كان الرجل يطلّق امرأته.. فإذا قاربت انتهاء عدتها راجعها أيامًا.. ثم طلقها.. وهكذا..

يفعل ذلك ثلاثًا ليطيل عليها من العدة.. فلا تتزوج عدة أشهر.. إضرارًا بها.. ثم هو تحذير من حرمانها من ولدها.. أو تجاهل عواطفها لو كانت تحبه بينما هو زاهد فيها.. والمطلوب هو: إيفاء الحق. واتقاء الضرر.

●●●

ولاحظ أن الآية الكريمة تقدم.. «الإمساك» على الطلاق..

والذي تسميه هنا فراقًا:

أولاً: لأن الإمساك مما يرضي الله (تعالى).

ثم هو ثانيًا: أوفق بمقاصد الشريعة التي تدور على محور التسامح والعفو..

على أن التعبير بالفراق عن الطلاق.. لمسة إنسانية تنبه الزوج إلى خطورة ما هو مُقدم عليه.. إنه الفراق.. وبلا تلاق.. فهل أنت مُعدٌّ أعصابك من الآن لتحمل هذا المصير الرعيب؟!

ألا وإن الفشل في الحياة الزوجية ليس من الحكمة أن نجعله نهاية الطريق:

لأن في استطاعة المطلق أن يسعَدَ مع أخرى: وهي كذلك... مع آخر.

ومن دروس الواقع:

قد يفترق الزوجان يومًا.. ثم يُغني الله (تعالى) كلا من سعته..

بل ويتزوج حفيده من حفيدها.. ثم يعيشان سعيدين.. بلا حساسية

من الماضي البعيـد.. لقد كان الزوج.. وكانت الزوجـة على غاية ما يكون الخُلُق الرضيّ..

ولكن غاب الإنسجام.. فكان الخصام.. ثم الفصام!

إن كلا منهما في ذاته صالح للعيش.. ولكن مع آخر..

●●●

وفي سورة العنكبوت.. ما تتهدى به البيوت.. يقول (عز وجل):

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

لقد عبَّر (سبحانه) بالبيت.. لا بالخيط.. لماذا؟

يقول العلماء:

إن خيـط العنكبوت أقـوى من مثـيله من الصلب أو الحديد.. أربـعة أضعاف.

لكن البيت المبني منه أوهن لأنه:

مصيدة:

العنكبوت الأنثى: تأكل زوجها بعد التلقيح

ثم تأكل أولادها.. عند الفقس.

وأخيرًا: يأكل الأولاد بعضهم بعضًا!

●●●

فالضعف إذن ليس في أفراد البيت.. ولكن في نظامه..

في علاقاته الأسرية..

إن نسق هذا البيت وتركيبه مهلهل..

وكذلك الأمر في حياتنا:

وأحيانًا تكون الزوجة . . كما يكون الزوج كل منهما في ذاته مثاليا .

ولكنهما في البيت . . فاشلان اجتماعيًا . .

وإذن فالطلاق آخر الكي . .

عندما تصل العلاقة إلى الحد الذي يتآكل فيه البيت من داخله . .

أجل :

يكون الطلاق هو الحل . . وهو الحلال إذن وإن كان أبغض الحلال .

رقصة الطائر الذبيح

يقول (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ .. ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

كان قدر الفتى اليوم أن يعيش في زمان ضلت الآراء فيه.. وقل الأوفياء.. وكان عليه ـ بناء على هذا ـ أن يبحث لنفسه عن واحة هادئة هانئة..

هي: الأسرة.. مع صاحبة يحبها وتحبه..

وقد يرى في طريقه وجوهًا كثيرة تعبر آفاق حياته.. ولكنه يتوقف عند وجه واحد فقطمن دون هذه الوجوه جميعًا..

وتداعبه أمانيّ حسان.. وأحلام جميلة..

ثم يجتمع الشمل.. وتبدأ رحلة المعاناة.. والكدح الطويل..

ولكنه الكدح الإيجابي.. الذي يذكرنا بالعصفور في رحلته اليومية:

إنه يعود مع الغروب إلى عشه.. إلى مسكنه أو مأمنه..

ثم يغفو فوق الأغصان. ثم يطير في الصباح.. مخلفًا من ورائه مخلفات..

وهذه المخلفات.. أو هذا العذاب. إنما هو في بعض جوانبه مواد عضوية: تقوي قشرة الشجرة..

وهكذا المتاعب في حياتنا:

إنها تعطي الشجرة.. أعني: تعطينا أفضل ما نحتاج إليه حين يخرج الزوجان معًا من بوتقة المعاناة أصبر على النار!!

وإذا كان بعض الناس يتعلم من أخطاء الآخرين.. فإن الراشدين منهم من يتعلمون من أخطائهم هم: من أخطارهم..

●●●

وهكذا ـ بالكفاح والسهر الدائم ـ يصير العصفور.. نسراً

.. وفجأة.. وعلى غير ميعاد تتراكم الأحداث.. وتشتد ضغوطها على الزوج.. وإذا النِّسر الطليق المحلّق.. تتحطم مخالبه.. وينكسر منقاره.. ويساقط ريشه!!

وإذا الأحباب: كل في طريق:

يتشاجر الفرقاء.. فيخسرون.. بينما الأعداء هم الذين يكسبون.. وكان لا بد من عملية جراحية تفرض نفسها فرضًا.. حين تتزاحم السلبيات.. وتعلن أنه: لا علاج إلا الفراق!!

بعدما صارت الأمانيّ الجميلة مستحيلة!

●●●

ومن تقدير الإسلام للمرأة ألا يتم هذا الفراق بعيداً عن رقابة المجتمع.. حتى لا ينفرد الأسد بالضحية.. وإذن.. فلا بد من الإشهاد عليه ـ ليكون في نقطة الضوء:

فالمجتمع ينتخب من أعضائه: شاهدين.. عدلين..

بل إنهما في العدل أصلان: من ذوي العدل.. من أصحابه وطُلابه..

وحين يُدليان بشهادتهما يكونان تحت رقابة المجتمع.. حتى تأتي الشهادة على وجهها: يقيما إقامة [كما يفعل من يريد إقامة شيء.. ليصير واقفًا بنفسه.. غير محتاج إلى ما يدعمه] منطلقًا من قاعدة الإخلاص.. حتى تكون لله (تعالى) خالصة.. لا لقريب.. لقرابته.. ولا من أجل

صديق.. لمحبته. وإنما يشهد شهادة مستقيمة.. لا عوج فيها..

●●●

ومن ثمرات هذا الإشهاد:

أولا: أنه حسم لمادة النزاع والتجاحد بينهما.

ثانيا: ضبط زمن العدة فرارًا من التدليس فيها.. وما قد يترتب عليه من نكاح رجل آخر وهي ما زالت في عدتها.

ثالثًا: وحتى لا يدّعي أحدهما ثبوت الزوجية.. زورًا. ليثبت حقه في الميراث ظلمًا.

ورابعًا: صيانة لسمعة البيت.. حتى لا يخوض الناس الذين قد يعلمون بالطلاق ولا يعلمون الرجعة.

●●●

وإذا كنا نشم في السياق رائحة الترهيب من الترخّص في الشهادة.. فقد كان ذلك ردعًا لمن كان قادرًا عليها.. ثم آثر السلامة.. لأن القيام بالشهادة لله أمر مكلِّف:

ففيه مشقة على الشهود.. لأن الشاهد قد يترك مصالحه الحيوية.. إلى جانب ما في لقاء القاضي من إعداد ربما لا يكون مستعدًا له..

من أجل ذلك.. يرهِّب الحق (تعالى) من التقصير فيها..

●●●

﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [الطلاق: ٢]:

إن في أحكام الله (تعالى) من الرقائق والدقائق ما تخشع له القلوب.. وفي طليعتها أحكام الطلاق والرجعة وغيرهما مما ذكرته السورة الكريمة.. وكما يقول البقاعي:

(أي الذي ذكـرت لكم أيتهـا الأمة. من هذه الأمـور البديعـة النظام. العالية المرام.. وأوْلاها بذلك هنا:

الإشهاد.. وإقامة الشهادة..

●●●

﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [الطلاق: ٢]:

وهذه المبادئ الرفـيعـة.. من شأنها أن ترقق القلـوب.. وأن تلين بها الشكائم..

وهي منسجمة مع الفِطَر السوية..

ومن ثم لا ينتفع بها إلا من كان مؤهلاً لها:

بالإيمان بالله (عز وجل)..

والإيمان باليوم الآخر..

ومن تسلح بهذين الأصلين فهو المرشح للانتفاع بما ذكر من أحكام.

أما من لم ينسجم معها.. ثم تحايل عليها.. أو رفضها.. فإن العيب فيه هو.. وليس في أحكامها.. وأمره على ما قيل:

نعـيب زمـاننا والـعـيب فـينا..

..ومـا لزمـاننـا عـيب.. سـوانا

●●●

إن مجال الطلاق والفراق على غاية ما تكون الحساسية..

والطرف الضعيف فيه هو المرأة..

من أجل ذلك.. يتكفل الإسلام الحنيف بالوقوف إلـى جانبها.. وفي ساعة العسرة..

ذلك بأن الرجل يستطيع أن يتأهل في نفس اليوم.. بينما تبقى هي حاملة هم الحال.. والاستقبال.. فلا تعتدل كفتا الميزان..

وما أكثر ما نسمع.. وما نرى.. في مثل هذه اللحظات العصيبة.. من دعاوي.. تُحمِّل المسكينة ما لا تطيق..

وبينما يتأهب رفيق الأمس لبناء عش جديد.. على أنقاض عشه القديم.. يصير أمرها على ما يقول الشاعر:

حَبْل الفجيعة ملتف على عنقي ... مَنْ ذا يُعاتب مشنوقًا.. إذا اضطربا؟!

اتقوا هجمة الأسد الجريح

يقول (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

من قصة «عوف بن مالك الأشجعي» أن العدو أسر ابنًا له.. فأتى النبي (ﷺ) يبثه شكواه.. فلعله أن يجد عنده مخرجًا لابنه من ضيق الأسر. ولنفسه من عَضّة الفقر.

فقال له (ﷺ):

«**اتق الله. واصبر .. وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله**».

ففعل عوف ما أمره به الرسول (ﷺ) .. وجلس في بيته ينتظر الفرج.

وحدثت المعجزة.. والتي لم تخطر له على بال:

لقد فوجئ بابنه لدى الباب حاملاً إلى أبيه بشارتين:

الأولى: عودته سالمًا.. بعدما احتال حتى غفل عنه العدو..

الثانية: أنه استاق أمامه مائة من الإبل.. غفل عنها العدو.. فجاء بها غنيمة باردة..

وهكذا كانت التقوى.. بابًا واسعًا إلى الأمن النفسيّ.. والأمن الغذائي معًا[1].

---

(١) في رواية أن «عوف.، قال للرسول (ﷺ): أيحل لي أن آكل مما أتى به ابني؟ قال (ﷺ): «**نعم**».

ولقد صدق الله (تعالى) وعـده. . ويبقى أن يستحضر العـبد في وعيه هذا المعنى:

أن يدعـو الله (تعالى). . كـما أمره. . وهـو (سبحـانه). . محـقق له أمله. . كما وعد.

ويتجـه السهم إلى الزوجين المختـلفين من بين البشر جـميعًـا. . حتى يجعلا من التقوى ركوبًا إلى فرج قريب. .

إن لحظة الفراق معترك الموت:

الموت الأدبي الذي يخـشاه كـلا الطرفين. . فيكيـد كل واحد لأخـيه كيدًا. . في محاولات مكرورة للدفاع عن النفس.

ولو على أنقاض رفيق الأمس. .

وسـوف تزل أقدام. . ثم يتـفاقم الخـصـام. . وتكثر الدعـاوي بالحق وبالباطل. . ومن أجل ذلك يجيء الأمر بالتقوى مكررًا وفي أوانه رَدْعًا لكل طرف حتى لا يتقول على رفيقه الأقاويل. .

وإذ يقـول بعض البـاحثين: إن العلمـاء أشـد تغايـرًا من التيـوس في حظائرها. . فإنا نقول: إن أولى الناس بهذا الوصف: زوجان يفترقان:

يفـتح كل واحد على الآخـر النار. . فـيشن الغـارة الكاسحـة. . في محاولة لتشويه السمعة. . حتى لا يرغب فيها بعد ذلك أحد. .

وتشويه سمعته. . حتى لا ترضى به واحدة من بعدها!

●●●

ولقد يظل تبادل التهم زمنًا أطول. . طمعًا في الوصول إلى هذا المقصد الأناني. .

وتضيق الأمـور. . كما تضـيق الصدور. . فإذا أنت تسـمع من التهم

عجبًا:

ولقد سمعت التي تقول عن مطلقها:

لم أر معه في حياتي يومًا أبكي عليه!

وليس كمثله رجل يعيش لنفسه.. إلى الحد الذي لا يعرف في أي مستوى من التعليم ولده؟!

●●●

ولن يعدم الزوج الجريح عيوبًا يرميها بها إرادة قطع الطريق عليها.. حتى لا تتزوج زواجًا يكون شاهدًا على أن دعواه بشأنها.. كانت كاذبة!

●●●

ومن أجل ذلك كله.. كان لا بد من الأمر بالتقوى.. ردعًا لهذه الخواطر.. وحسمًا لتلك المهاترات:

فإذا كان هناك تخوف من المستقبل.. فينبغي إحالته إلى الله (عز وجل).. والمَعْنى:

(ومن يتق الله. فطلِّق للسنة. ولم يضار المعتدة. ولم يخرجها من مسكنها..

ثم احتاط فأشهد.. يجعلْ الله له مخرجًا مما في شأن الأزواج من الغموم.. والوقوع في المضايق.. ويُفرجْ عنه.. ويُعطه الخلاص).

●●●

وقد يوسوس إليه الشيطان ألا يراجعها بسبب ضيق يده.. ومن هنا تسوق إليه الآية الكريمة ما به يطمئن قلبه.. وأن الرزق بيد الله (تعالى) وحده.. ييسره للإنسان بلا أسباب.. وإذن فليس في المراجعة مسئولية مادية مرهقة.. والأمر متروك لواهب الأرزاق (سبحانه وتعالى) القائل:

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣].

يقول صاحب الظلال:

(إن مجال الكيد في هذه العلاقة واسع.. ومسالكه كثيره: وقد تؤدي محاولة اتقاء الكيد.. إلى الكيد.

وهنا إيحاء بترك هذه المحاولة. والتوكل على الله. وهو كاف لمن يتوكلُ عليه: فالله بالغ أمره:

فما قدّر.. وقع. وما شاء. كان.

والمقصود هو: إنشاء التصور الإيماني في القلب. بالنسبة لإرادة الله وقدره) أ. هـ.

●●●

إن الله (عز وجل): لا يفوته مراد. ولا يعجزه مطلوب..

وقد جعل (سبحانه) لكل شيء قدرا:

فإذا عرف العبد ذلك.. كان التوكل. وكان التسليم:

ذلك (بأن لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه قدَّر الله (تعالى) ذلك كله لا يقدّم ولا يؤخر..

وقد تختفي عن أنظارنا الأسباب المادية.. لكن الحقيقة التي تفرض

وكم لله من لطف خفيّ

يدق خفاه عن فهم الذكي

وكم أمر تساء به صباحًا

فتأتيك المسرة بالعشيِّ!

نفسها هي: أن مسبب الأسباب موجود.. وهو حي لا يموت (سبحانه):

وإدراك هذا المعنى.. مانع مـن اليأس والإحبـاط. واقف بالحائر على جادة اليقين:

(فمن توكل على الله استفاد الأجر. وخف عنه الألم. وقذف في قلبه السكينة..

ومن لم يتوكل على الله. لم ينفعـه ذلك. وزاد ألمه. وطال غمه بشدَّة سعيه. وخيـبة أسبابه التي يعتقد أنها هي المُنْجـية: فمن رضي فله الرضا.. ومن سخط.. فله السخط) أ.هـ.

التقوى..
طوق النجاة

يقول الله (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا * ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ﴾ [الطلاق: ٤، ٥].

ما تزال أمتنا خير أمة أخرجت للناس..

وأية خيرية أعظم من أن يسارع ربها في رضاها.. كلما اتجهت إليه. وأقبلت عليه:

يسأل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) فيقول: يا رسول الله:

قد عرفنا عدة التي تحيض. فما عدة التي لم تحض؟ فنزل قوله (تعالى):

﴿ واللائي يئسن من المحيض ... ﴾

ثم يقوم رجل فيسأل: يا رسول الله:

فما عدة الصغيرة التي لم تحض (أو البالغة التي لا تحيض؟).

فينزل قوله (تعالى):

﴿ واللائي لم يحضن ... ﴾

ثم يقوم ثالث فيقول: وما عدة الحوامل يا رسول الله؟

فنزل:

﴿ وأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ . . . ﴾[1] .

وهكذا تحس الأمة بحاجتها إلى بيان أحكام الله (عز وجل) . . إرادة تنفيذها . . ثم تسأل ملحة في السؤال . . راغبة في الاستمساك بالعروة الوثقى . . حتى لا تسقط في قاع الضياع . .

لقد تنزلت الآي تترى آخذة بيد السائلين . . إلى مرفأ اليقين .

●●●

لقد بينت سورة البقرة من قبل عدة ذوات الحيض وهي : ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار .

وتبقى شريحة مهمة يراد معرفة حكم الله فيها . .

ولأن المجتمع راغب في أن يتهدى بنور الوحي الأعلى . . حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها . . من أجل ذلك أن ينهض نفر منه . . لينوب عن المجتمع في طلب المزيد من الأحكام الرامية إلى بقاء الأسرة في ساعة العسرة على غاية ما يكون الرشاد والسداد .

●●●

ومعنى الآية الكريمة :

إذا أَشْكلَ الأمر عليكم . . إذا التبس . . فشككتم جاهلين كيف يعتددن . . إذا ارتبتم فأجلتم النظر في القضية . . فلم تعرفوا أَدمَ حيض هو أم استحاضة؟

وهل هن حاملات أم لا؟ فعدتهن ثلاثة أشهر :

وهنَّ المطلقات اللائي يئسن من الحيض لوصولهن إلى سنٍّ يجاوز

---

(١) الحمل : بفتح الحاء : ما كان في البطن أو على رأس الشجر .

والحمل : بكسرها : ما كان ظهر أو رأس .

القدر الذي ترجو فيه النساء الحيض.. فصارت بحيث لا ترجوه.. وذلك لبلوغها سنَّ الستين.. أو سنَّ السبعين.. فعدتهن:

ثلاثة أشهر: كل شهر يقوم مقام حيضة.

●●●

أما الحاملات: فعدتهن: وضع الحمل.. أي جميع ما في البطن.. لأنه أدل على براءة الرحم من ولدٍ للمطلِّق.. يبيح للمطلقة أن تبحث من اليوم عن.. نصفها الآخر.. بعدما انقطع خط الرجعة.

●●●

ثم يجيء الأمر بالتقوى ليربط على القلوب في هذه اللحظات الحرجة. أو كما قال المفسرون:

(لأن أمور النساء في المعاشرة والمفارقة: من المعاسرة والمياسرة.. في غاية المشقة.. فلا يحمل على العدل فيها والعفة.. إلا خوفُ الله تعالى).

●●●

ولأن القضية في غاية الأهمية.. فإن الأمر بالتقوى يجيء مكررًا.. مقرِّرًا ضرورة الوقوف عند حدود الله التي حَدَّها.. لأن من لم يحفظ حدوده (عز وجل).. عسّر عليه كل أموره..

ومن التزم بها يسّر له أموره.. وحلَّ عُقَد حياته.

وذلك قوله (تعالى) على الترتيب التصاعدي:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقوله (عز وجل):

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا.. ﴾ [الطلاق: ٤].

وقوله (سبحانه وتعالى):

﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ﴾ [الطلاق: ٥].

إن لحظة الفراق معترك يحاول كل طرف فيها أن يضيف إلى نفسه حسنات غيره.. بقدر محاولته أن يضيف إلى خصمه كل مساوئ غيره.. في نفس الوقت الذي يجرده من كل معروف..

جاعلاً من حياته صحيفة سوداء.. غافلاً عن سقوط هذا العار فوق رءوس ذرية يسيء إليهم ما يسيء آباءهم وأمهاتهم.. من أجل ذلك يحرّص الله (تعالى) الأزواج والزوجات على ضبط النفس.. وإحالة القضية على الحق الأعلى.. والذي يدخر للمتسامحين الصابرين جزاء.. تتضاءل معه تلك المكاسب الرخيصة التي نحاول الحصول عليها بالبذاء والجفاء:

فالذي يتقي الله:

يجعل الله له مخرجا من كل ضيق:

وليس هذا فقط.. فهناك ما هو أعلى وأغلى وهو: أن يجعل الله له من أمره يسرا.. يسرًا مستمرًا يواكب حياته..

بل ويكفر عنه ـ فوق ذلك ـ سيئاته.. ويعظمُ له الأجر..

إنها إذن نعمة الدفع.. والنفع معًا:

دفع البلاء.. واستجلاب النعماء.

●●●

يقول صاحب الظلال:

(واليسر في الأمر: غاية ما يرجوه الإنسان.

وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله (تعالى) الأمور ميسرة لعبدٍ من عباده.

فلا عنت ولا مشقة.. ولا عسر ولا ضيق.

إنه يأخذ الأمـور بيسر في شـعوره وتقديره. وينالهـا بيسر في حركـته وعمله.

ويرضاها بيسر في حصيلتها ونتيجتها. ويعيش من هذا في يسر رخيّ نديّ. حتى يلقى الله).

●●●

ومن هذا اليسر: أن تُحسَّ المطلقـة.. ويُحس المطلِّق.. بعد الفراق.. أن يحسا بحجم الخسارة.. وأن كلا منهما فقد شيئًا مهمًا في حياته..

وقـد رأينا ذلك في الواقع.. عندمـا يذوب الجليد بين الاثنين.. فـإذا هما يعودان إلى العش مرة أخرى.. على أوفى ما يكون الود..

والذي كان خصامًا.. صار ودًا ووئاما.

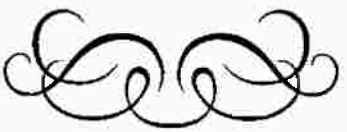

شبهات مردودة

يقول الله (عز وجل) في سورة الطلاق:

﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ ... ﴾ [الطلاق: ٤، ٥].

كانت للمفسرين وقفاتهم المتأملة هذه الآيات البينات.. تلك الوقفات التي لم يكن يقنعها أن تتجمد أمامها عند السطح.. مكتفين بما يلقيه اليم من اللحم الطري..

وإنما غاصوا في الأعماق وراء اللؤلؤ والمرجان. فبدّدوا شبها. وأزالوا حواجز: ومن هؤلاء المفسرين: الإمام «زين الدين الحنفي» والذي قال في كتابه «غرائب التنزيل»:

(فإن قيل: كيف قال (تعالى): ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].. ونحن نرى كثيراً من الأتقياء مضيقًا عليهم رزقهم؟

قلنا: معناه: يجعل له مخلصًا من هموم الدنيا والآخرة. وعن النبي (ﷺ) أنه قال: مخرجًا من شبهات الدنيا. ومن غمرات الموت. ومن شدائد يوم القيامة.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما):

ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة.

والصحيح: أن هذه الآية عامة. وأن الله يجعل لكل متق مخرجا من كل ما يضيق على من لا يتقي.

ولهذا قال النبي (ﷺ):

«إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿ومن يتق الله..﴾».

وجعل يقرؤها ويعيدها.

وأما تضييق رزق الأتقياء فهو ـ مع ضيقه وقلته ـ يأتيهم من حيث لا يأملون ولا يرجون.

وتقليله لطف بهم ورحمة. ليتوفر حظهم في الآخرة.. ويخفف حسابهم.. ولتقل عوائقهم عن الاشتغال بمولاهم. ولا يشغلهم الرخاء. والسعة عما خلقوا له من الطاعة والعبادة.

ولهذا اختار الأنبياءُ والأولياء والصديقون.. اختاروا الفقر على الغنى) أ.هـ.

●●●

يريد الشيخ الحنفي أن يقول:

لا يقتصر معنى الرزق على ما كان منه ماديًا: من مال ورياش ومتاع..

وأهم منه: الرزق المعنوي.. والذي حظي منه الأتقياء بنصيب الأسد.. والدعوى هنا وإن كانت صحيحة وهي: ضيق ذات اليد.. يد الأتقياء مع بحبوبة غيرهم.. فهذا التضييق لهم.. وليس عليهم..

لأن الله (تعالى) يعطي الدنيا من أحب.. ومن لا يحب.. ولكنه (تعالى) لا يعطي الآخرة إلا لمن أحب وهم الأتقياء الذين ضاقت أرزاقهم المادية هنا.. ليتفرغوا للعبادة التي يحصلون بها في الآخرة على ما هو أغلى من النعيم الدنيوي وأبقى.

●●●

ثم يقول الشيخ بعد ذلك:

(فإن قيل: كيف قال الله (تعالى) ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

(أي: من يثق به فيما نابه.. كفاه الله شر ما أهمه.. وقد رأينا كثيراً من الناس من يتوكل على الله في بعض أمورهم وحوائجهم.. ولا يكفيهم الله (تعالى) همها؟

قلنا:

محال أن يتوكل على الله حق التوكل ولا يكفيه همه. بل ربما قلق وضجر واستبطأ قضاء حاجته بقلبه أو بلسانه أيضًا.. ففسد توكله.

وإليه الإشارة بقوله (تعالى) ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ أي:

نافذ حكمه: يبلغ ما يريده. ولا يفوته مراد. ولا يعجزه مطلوب.

وبقوله (تعالى): ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: جعل لكل شيء من الفقر والغنى. والمرض والصحة. والشدة والرخاء. ونحو ذلك..

جعل له أجلاً ومنتهى ينتهي إليه. لا يتقدم عنه. ولا يتأخر) أ.هـ.

والمعنى: صحة التلازم بين توكل العبد.. وكفالة الله (تعالى) له..

فمن توكل حقًا كما أمره ربه.. فإن الله (تعالى) يكفيه الهموم كما وعده..

●●●

ثم يقول الشيخ:

(فإن قيل: إذا كانت المطلقة طلاقًا بائنًا تجب لها النفقة عند بعض العلماء.. فما فائدة قوله (تعالى):

﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦] عند ذلك القائل؟

قلنا: فائدته: ألا يتوهم متوهم أنه إذا طالت مدة الحمل بعد الطلاق.. حتى مضت مدة سقطت النفقة. فنفى هذا الوهم بقوله:

﴿ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٦] أ.هـ.

وربما جاز لنا أن نقول: إن فترة الحمل في حياة الحامل فترة عصيبة: تتناقص فيها قواها.. وتحتاج إلى تمريض وعلاج.. قد يكلف الزوج كثيرًا من النفقات التي قد يستكثرها.. فحرضه الله (تعالى) على حسن رعايتها، والوفاء لها بالتنصيص على وجوب النفقة التي قد ترهقه عندئذ فيتكاسل. ويتراخى عزمه في منتصف الطريق بينما هي تحمل له ما به يمتد عمره وينسأ أثره.

●●●

مع الفخر الرازي:

وقد تعرض الفخر الرازي لواحدة من هذه القضايا فقال:

(فإن قيل:

﴿ ومن يتوكَّلْ على اللَّه فَهُو حسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]. يدل على عدم الاحتياج للكسب في طلب الرزق.. وقوله (تعالى): ﴿ فإذَا قُضِيَت الصَّلاةُ فانتشروا في الأرْضِ وابْتغوا من فضْلِ اللَّه ﴾ [الجمعة: ١٠]. يدل على الاحتياج.. فكيف هو؟

ونقول: (إنه لا يدل على الاحتياج. لأن قوله (تعالى):

﴿ فانتشِروا في الأرْضِ وابْتغوا من فَضْلِ اللَّه ﴾ [الجمعة: ١٠]. للإباحة. كما مرّ.

والإباحة مما ينافي الاحتياج إلى الكسب.. لما أن الاحتياج مناف للتخيير) أ.هـ.

ولكن قول الرازي (رحمه الله) إن قوله (تعالى): ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. يدل على عدم الاحتياج للكسب في طلب الرزق.. قوله هذا فيه نظر:

لأن جوهر التوكل هو:

العمل الدءوب..

ثم تفويض الأمر إلى الله (عز وجل)..

وإذن.. فقوله (تعالى):

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقوله (تعالى):

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

الآيتان الكريمتان كلتاهما تؤكدان معنى واحدًا هو:

ضرورة العمل أخذًا بالأسباب.. والنتيجة بعد ذلك على الله (تعالى):

فمن تواكل.. ولم ينتشر.. لن يصل إلى ما قُدر له من رزق مادِّي أو معنوي.

●●●

أما بعد

فقد قال الله (عز وجل) [من نسائكم].. فكل هذه الحقوق للزوجة المسلمة.. والزوجة الكتابية معًا.. وبلا تفريق حتى وإن بقيت الكتابية على دينها. وأعظِم بالإسلام دينًا يحترم آدمية الإنسان.. وإن اختلفت الأديان.